

التحرير والتنوير

ومناسبة هذا الانتقال عن أمر النبي A بالدوام على التذكير يشير إلى مقالاتهم التي يردون بها دعوته فلما أشير إلى بعضها بقوله تعالى (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) انتقل إلى إبطال صفة أخرى يثلثون بها الصفتين المذكورتين قبلها وهي صفة شاعر . روى الطبري عن قتادة قال قائلون من الناس : تربصوا بمحمد A الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان ولم يعينوا اسم الشاعر ولا أنه كان يهجو كفار قريش . وعن الضحاك ومجاهد : أن قريشا اجتمعوا في دار الندوة فكثرت آرائهم في محمد A فقالوا بنو عبد الدار : هو شاعر تربصوا به ريب المنون فسيهلك كما هلك زهير والنابعة والأعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت هذه الآية فحكت مقالاتهم كما قالوها أي فليس في الكلام خصوص ارتباط بين دعوى أنه شاعر وبين تربص الموت به لأن ريب المنون يصيب الشاعر والكاهن والمجنون وجاء (يقولون) مضارعا للدلالة على تجدد ذلك القول منهم . والتربص مبالغة في : الرصد وهو الانتظار .

والريب هنا : الحدثان وفسر بصرف الدهر وعن ابن عباس : ريب في القرآن شك إلا مكانا واحدا في الطور (ريب المنون) . والباء في (به) يجوز أن تكون للسبب أي بسببه أي نترصد لأجله فتكون الباء متعلقة ب (نترصد) ويجوز أن تكون للملابسة وتتعلق ب (ريب المنون) حالا منه مقدما على صاحبها أي حلول ريب المنون به .

والمنون : من أسماء الموت ومن أسماء الدهر ويذكر . وقد فسر بكل المعنيين فإذا فسر بالموت فإضافة (ريب) إليه بيانية ؛ أي الحدثان الذي هو الموت وإذا فسر النون بالدهر فالإضافة على أصلها أي أحداث الدهر مثل موت أو خروج من البلد أو الرجوع إلى دعوته قريب المنون جنس وقد ذكروا في مقالاتهم قولهم : فسيهلك فاحتملت أن يكونوا أرادوه بيان ريب الموت أو إن أرادوه مثالا لريب الدهر وكلا الاحتمالين جار في الآية لأنها حكمت مقالاتهم . وقد ورد (ريب المنون) في كلام العرب بالمعنيين ؛ فمن وروده في معنى الموت قول أبي ذؤيب : .

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمتعب من يجزع ومن وروده بمعنى حدثان الدهر قول الأشعري : .

أإن رأت رجلا أعشى أضربه ... ريب المنون ودهر متبل خبل أراد أضرب بذاته حدثان الدهر ولم يرد إصابة الموت كما أراد أبو ذؤيب .

ولما كان انتفاء كونه شاعرا أمرا واضحا يكفي فيه مجرد التأمل لم يتصد القرآن للاستدلال على إبطاله وإنما اشتملت مقالاتهم على أنهم يتربصون أن يحل به ما حل بالشعراء الذين هم من جملة الناس .

فأمر الله تعالى نبيه A أن يجيبهم عن مقالاتهم هذه بأن يقول : (تربصوا فإنني معكم من المتربصين) وهو جواب منتصف لأن تربص حلول حوادث الدهر بأحد الجانبين أو حلولمنية مشترك الإلزام لا يدري أحدهما ماذا يحل بالآخرة .

(قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين [31]) وردت جملة (قل تربصوا) مفصولة بدون عطف لأنها وقعت في مقام المحاوره لسبقها بجملة (يقولون شاعر) الخ فإن أمر أحد بأن يقول بمنزلة قوله فأمر بقوله ومثله قوله تعالى (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة) .

عليه وفرع . وعدمه بي تربصهم عندي سواء أي التسوية في مستعمل (تربصوا) في الأمر A E (فإنني معكم من المتربصين) أي فإنني متربص بكم مثل ما تتربصون بي إذا لا ندري أينما يصيبه ريب المنون قبل .

وتأكيد الخبر ب (أن) في قوله (فإنني معكم من المتربصين) لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر أنه يتربص بهم كما يتربصون به لأنهم لغرورهم اقتصروا على أنهم يتربصون به ليروا هلاكه فهذا من تنزيل غير المنكر منزلة المنكر .

والمعية في قوله (معكم) ظاهرها أنها للمشاركة في وصف التربص